@ 553 @ وأخا هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه) ^ ك (هامان) وغيره من رؤوسائهم . ^ (فاستكبروا) ^ أي : تكبروا عن الإيمان با ، واستكبروا على أنبيائه . ^ (وكانوا قوما عالين) ^ أي : وصفهم العلو ، والقهر ، والفساد في الأرض ، فلهذا صدر منهم الاستكبار ، ذلك غير مستكثر منهم . ^ (فقالوا) ^ كبرا وتيها ، وتحذيرا لضعفاء العقول ، وتمويها : ^ (أنؤمن لبشرين مثلنا) ^ كما قاله من قبلهم سواء بسواء ، وتشابهت قلوبهم في الكفر ، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم ، وجحدوا منة ا عليهما بالرسالة . ^ (وقومهما) ^ أي : بنو إسرائيل ^ (لنا عابدون) ^ أي : معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة كما قال تعالى : ^ (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) ^ ، فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين ؟ وكيف يكون هؤلاء رؤوساء علينا ؟ ونظير قولهم ، قول قوم نوح : ^ (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) ^ ^ (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) ^ . من المعلوم أن هذا ، لا يصلح لدفع الحق ، وأنه تكذيب ومعاندة . ولهذا قال : ^ (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) ^ في الغرق في البحر ، وبنو إسرائيل ينظرون . ^ (ولقد آتينا موسى) ^ بعدما أهلك ا فرعون وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى ، وتمكن حينئذ ، من إقامة أمر ا فيهم ، وإظهار شعائره ، وعده ا أن ينزل عليه التوراة ، أربعين ليلة ، ذهب لميقات ربه ، قال ا تعالى : ^ (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) ^ ولهذا قال هنا : ^ (لعلهم يهتدون) ^ أي : بمعرفة تفاصيل الأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، ويعرفون ربهم ، بأسمائه وصفاته . ^ (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) ^ أي : وامتننا على عيسى ابن مريم ، وجعلناه وأمه ، من آيات ا العجيبة ، حيث حملته ، وولدته ، من غير أب ، وتكلم في المهد صبيا ، وأجرى ا على يديه من الآيات ، ما أجرى . ^ (وآويناهما إلى ربوة) ^ أي : مكان مرتفع ، وهذا وا أعلم وقت وضعها . ^ (ذات قرار) ^ أي : مستقر وراحة ^ (ومعين) ^ أي : ماء جار ، بدليل قوله : ^ (قد جعل ربك تحتك) ^ أي : تحت المكان الذي أنت فيه ، لارتفاعه ، ^ (سريا) ^ أي : نهرا وهو الماء المعين ^ (وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلي واشربي وقري عينا) ^ . ^ (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن ه ذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون * فذرهم في غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم به من مال

وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) ^ هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات ، التي هي الرزق ، والطيب الحلال ، والشكر ، بالعمل الصالح ، الذي به يصلح القلب والبدن ، والدنيا والآخرة . ويخبرهم أنه بما يعملون عليم ، فكل عمل عملوه ، وكل سعي اكتسبوه ، فإن ا يعلمه ، وسيجازيهم عليه ، أتم الجزاء وأفضله . فدل هذا على أن الرسل كلهم ، متفقون على إباحة الطيبات ، من المآكل وتحريم الخبائث منها ، وأنهم متفقون على كل عمل صالح ، وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات ، واختلفت بها الشرائع ، فإنها كلها عمل صالح ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة . ولهذا ، الأعمال الصالحة ، التي هي صلاح في جميع الأزمنة ، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع ، كالأمر بتوحيد ا ، وإخلاص الدين له ، ومحبته ، وخوفه ، ورجائه ، والبر ، والصدق ، والوفاء بالعهد ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين والإحسان إلى الضعفاء والمساكين ، واليتامى ، والحنو والإحسان إلى الخلق ، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة ، ولهذا كان أهل العلم ، والكتب السابقة ، والعقل ، حين بعث ا محمدا صلى ا عليه وسلم ، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به ، وينهى عنه . كما جرى لهرقل وغيره ، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء ، الذين من قبله ، ونهى عما نهوا عنه ، دل على أنه من جنسهم ، بخلاف الكذاب ، فلا بد أن يأمر بالشر ، وينهى عن الخير . ولهذا قال تعالى للرسل : ^ (وإن هذه أمتكم) ^ أي : جماعتكم يا معشر الرسل ^ (أمة واحدة) ^ متفقة على دين واحد ، وربكم واحد . ^ (فاتقون) ^ بامتثال أوامري ، واجتناب زواجري ، وقد أمر ا المؤمنين ، بما أمر به المرسلين ، لأنهم بهم يقتدون ، وخلفهم يسلكون ، فقال : ^ (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا إن كنتم إياه تعبدون) ^ فالواجب على كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم ، أن يمتثلوا هذا ، ويعملوا به ، ولكن أبى الظالمون الجاحدون ، إلا عصيانا ، ولهذا قال : ^ (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) ^ أي : تقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء ^ (أمرهم) ^ أي : دينهم ^ (بينهم زبرا) ^ أي : قطعا ^ (كل حزب بما لديهم) ^